

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف :

د . محمد خاتمى



في التنوير الإسلامي ٣١

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية



تأليف :
د . محمد خاتمي





اسم الكتاب: الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

اسم المؤلف: د / محمد خاتمي

تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٩م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٧٣٧ / ١٩٩٩م .

الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8

الناشر: دار **نهضة مصر** للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)
فاكس: ٣٣٠٢٩٦/٠١١

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥/٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥/٠٢ - ص.ب: ٩٦ الفجالة .

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤/٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦/٠٢ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صاحب هذا الكتاب لم يعد فى حاجة إلى تعريف . . فهو الدكتور محمد خاتمى ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والذى أحدث اختيار الشعب الإيرانى له - بأغلبية كبيرة - هزات وتساؤلات وتنبؤات وتطورات فى الحياة الداخلية بإيران ، وفى العلاقات الإيرانية بدول الجوار والمحيط - العربى والإسلامى - وفى العلاقات الإيرانية - الدولية ، لاتزال متنامية حتى الآن . .

والدكتور خاتمى ، لقبه المفضل والأشهر «سيد» محمد خاتمى ، لأنه - وفق التقاليد الشيعية - من «السادة» ، أى آل بيت رسول الله ، ﷺ . . ولد سنة ١٩٤٣م بمدينة «أردكان» ، فى أسرة متدينة ، لوالد هو آية الله روح الله خاتمى . . وجمع فى دراسته بين أصول الفقه والفلسفة والتربية . . وشملت اهتماماته علوم الحديث وفلسفة هيجل وماركس . . وإلى جانب الفارسية ألم باللغات العربية والانجليزية والألمانية . . ولأنه قد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، عندما تعلم فى «الحوزة» العلمية بمدينة «قم» الإيرانية ، ودرس فى جامعة طهران ، وتخرج منها . . فلقد تميزت رؤيته الفكرية بالأصولية الدينية المستنيرة ، ورؤية الحضارة الحديثة ، بتياراتها الفلسفية والاجتماعية والثقافية المتعددة . فهو يرى العالم من موقع العالم الدينى ، ويرى التراث الدينى من موقع المثقف المتفتح على ثقافات العالم ، وبذلك تميزت وتتميز رؤيته الفكرية

عن أولئك الذين أصابهم «العور الفكرى» . فلا ينظرون إلا بعين واحدة : عين «الموروث» وحدها . . أو عين «الوافد» دون سواها! . .

لذلك كان الرجل نموذجا «للإسلامى» الذى لايخاصم العالم ، و«للعالمية» المنظور إليها من خلال حضارة الإسلام .



أما الدراسات الثلاث التى نقدمها - للدكتور خاتمى - فى هذا الكتاب ، فهى - فى الأصل - ثلاث محاضرات ألقاها فى «لبنان» - قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية الإيرانية .

أولاهــا: عن (الدين والعصر) .

والثانية: عن (التراث والحداثة والتنمية) - ألقاهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

والثالثة: عن (التنمية والحرية) - ألقاها فى صيف سنة ١٩٩٥م .

ولقد اخترنا هذه المحاضرات الثلاث من بين عدد أكبر من محاضرات الدكتور خاتمى[1] - لأن موضوعاتها من أكثر الموضوعات حساسية وإثارة للجدل بين تيارات الفكر فى وطن العروبة وعالم الإسلام . . ولأن هذه المحاضرات هى من بين ما ألقاه الدكتور خاتمى خارج إيران ، ففيها كان خطابه لجمهور مفكرى الأمة ومثقفيها، وليس - كمحاضرات له أخرى - ألقيت فى إيران فجاءت محكومة بالموروث الشيعى وحده - أو أكثر من غيره - وموجهة إلى

(١) ولقد سبق ونشرت هذه المحاضرات ، ضمن كتاب عنوانه [مطالعات فى الدين والإسلام والعصر] ، قدم له السيد محمد على أبطحى . وطبعته دار الجديد سنة ١٩٩٨م .

جمهور الشيعة دون غيرهم، أو قبل غيرهم من المفكرين والمثقفين فى عالم الإسلام..

لذلك، سيجد القارئ لهذه الدراسات نفسه أمام عالم إسلامى، لا يحبسه مذهب، ويخاطب الأمة، لا شعبا بعينه، ولا دولة قطرية بذاتها.. كما سيجد القارئ نفسه بإزاء مصلح إسلامى، ملتزم بأصول الإسلام، وبمنظاره يرى العالم بأسره، كما يرى الإسلام فى ضوء القضايا والتحديات العالمية التى تواجه الإسلام والمسلمين.

❖ ❖ ❖

ورغم أن أهمية الأفكار والقضايا التى تناولها الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات . . والوضوح الذى امتاز به عرضه لهذه القضايا ، يغرينا بأن ندع القارئ وجها لوجه مع هذه الدراسات ، ودون مقدمات . . إلا أن قليلا من الأضواء على الموقع الفكرى للدكتور خاتمى ، وعلى القضايا التى تناولها فى هذه الدراسات قد يكون ضروريا فى التعريف ، وفتح الأبواب لجمهور القراء . .

● فالدكتور خاتمى يضع نفسه ـ كما يضعه فكره ـ فى «**المدرسة الإصلاحية الإسلامية**» . . لكنه يتميز بين رجالات الإصلاح الإسلامى بالانتماء إلى «**المذهب العرفانى**»، الذى يعتمد فى تحصيل الحقيقة الدينية ـ وليس فى دراسة الكون والاجتماع والسياسات ـ على «**القلب**»، القادر على «**الوصول**» إلى المطلق واليقين . . ولكن دون نبذ «**للعقل**»، الذى هو سبيل الوصول إلى أصل الوجود الغيبى ، وبه تتيسر الحياة . . فعنده «أن السبيل المطمئن لمعرفة الله عز وجل، هو طريق الوصول لا الفهم، وطريق

القلب لا العقل. هو الطريق الذى أكدته الأديان بقوة. ولقد علّمنا أئمة الإسلام بأن «العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسِب به الجنان»، وهذا يعنى أن العقل هنا هو مصدر عبادة لا مصدر فهم. وفى قول آخر، رأوا العبادة سبيلا إلى اليقين، وليس الانتقال من المقدمات المعلومة إلى النتيجة المجهولة، ودليل هذا ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾[1] وهذا يعنى أن الطريق المطلوب للمعرفة الدينية الإلهية هو طريق الوصول لا الفهم.

وهذا، بطبيعة الحال، لا يعنى، بأى وجه، التنكر لقوة العقل والمعرفة الفلسفية والعملية، وخاصة فى الإسلام، الذى اهتم إلى حد بعيد، بالعقل وبالتدبر، ولكن لابد من معرفة حدود كل بُعد من أبعاد روح الإنسان، ومن أراد أن يكون مؤمنا صادقا فلابد له من سلوك طريق القلب[2]... إن العقل هو المشترك بين الناس. وهو لا يستطيع إيصالنا إلى الحقيقة المطلقة.. ونحن لا نستطيع بلوغ الكنه المطلق بالعقل، وقد ذكر العارفون أن ما يُفهم من العقل كمصطلح يقوم بهذا الفهم فى المطلق، هو القلب، لا العقل.

وهنا نعرض مسألة دقيقة لابد من جلائها. فنحن إما أن نُبقى على سلطان العقل من البداية، وإما أن نضعه ونضع الإيمان فى مقابله، فيأخذ هذا الإيمان الموضوع مقابل العقل فى توجيه الإنسان أولا فأولا نحو الإيمان الكلى، ومن هنا يكون السلطان للقلب، كما عرفه العارفون،

(١) الحجر: ٩٩.
(٢) العبارة القادمة من حوار مع د. خاتمى، أجرته وأذاعته محطة «تلفاز المنار» اللبنانية - فى ديسمبر سنة ١٩٩٦م.

ويكون له وحده أن يقودنا إلى عالم ما وراء الطبيعة، بأن الوجود أكبر من المادة وأعم، وأن ثمة غيبا في مقابل الشهود، وهي الأبواب التي يدخل منها القلب.

وإذا قبلنا بالعقل والقلب فإننا نستطيع بلوغ الإيمان، ولكننا إذا نبذنا العقل فلن نلبث أن نُخرج الدين من ساحتنا بعد مدة قصيرة، لأن العقل آلة لا تتيسر الحياة من دونها. فنحن بالعقل نصل إلى أصل الوجود الغيبي، وبه نُرسّخ الفهم عن الوصي [1]. ومن ثم تكفينا الرياضة ومجاهدة النفس للمضي قُدما نحو الحقيقة، بيد أننا عندما نريد فهم الكون والوحي فإننا نتوسل بالعقل وسيلة، ولكن مع ملاحظة أن استنتاجاته نسبية، الأمر الذي يحفظنا من الظن مثلا أن ما نفهمه من القرآن والسنة هو عين الحقيقة.

إن بوسعنا، في أزمنة متعددة وفي أمكنة مختلفة، أن نصل بالعقل إلى أكثر من فهم للنص، وهو أمر يتفق وجوهر الدين الذي يؤكد أن فكرنا الديني متطور ومتغير دائما...

وغني عن البيان، أن هذا الطريق - طريق الوصول لا الفهم - والذي سلكه ويسلكه أصحاب «المذهب العرفاني»، هو طريق حق وصعب في ذات الوقت، لا ينكره عاقل، لكنه ليس الطريق العام الميسور الذي يستوعب الأمة.. فالعقل الذي «تترطب» معارفه بالقلب، والقلب الذي تَنضبط بواطنه وإلهاماته وهِباته بالعقل، هو طريق الشريعة والجمهور.. صحيح أن هناك من يصل إلى سقف

---

(1) الوصي - في عقائد الشيعة، التي يختصون بها، ويخالفهم فيها كل مذاهب أهل السنة - هو الإمام المعصوم.

الحقيقة المقدورة للإنسان بالعقل وحده.. ومن يصل إلى هذا السقف بالقلب وحده.. لكن هؤلاء وهؤلاء من الندرة بحيث يشير إليهم الزمان بأصابع الأجيال! - كما كان يقول الإمام محمد عبده، عليه رحمة الله.

● والدين - الذى خصه الدكتور حنفى فى هذه الدراسات بمحاضرة كاملة - هو: المقدس، المتسامى، المتعالى . . وهو الفطرة التى فطر الله الناس عليها، والتى بدونها لا معنى لحياة الإنسان . . «فالدين توأم الإنسان، وأقدم الموجودات البشرية، وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعال وسام لا معنى لها.. فجوهر الدين مقدس متعال، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه دينا...».

● ولأن «الدين» وضع إلهى ثابت، ومقدس، ومتسام، ومتعال . . تميز - فى الرؤية الإسلامية - عن «الفكر الدينى»، الذى هو اجتهادات بشرية - ظنية - والذى يمثل رؤية العلماء والمفكرين للوحى وللكون، ولعلاقة الأحكام بالواقع الذى يعيش فيه هؤلاء المفكرون والعلماء . «فالتمييز بين الدين وبين الفكر الدينى، ضرورة لتمييز «الإلهى» عن «البشرى»، والمقدس عن ما لا عصمة له، كما هو شرط للتطور الذى يواكب المستجدات والمتغيرات.. ومن هنا تتلخص خدمة الدين - فى عصرنا - فى التمييز، بشجاعة، بين جوهر الدين كشأن مقدس ومتسام، وبين تصورات الإنسان عنه، والتى هى أمر محدود ونسبى ويدركها التغير. وبذا تظل للدين منزلته المقدسة فى أعماق أفئدة المؤمنين، وتفتح، من جهة أخرى، آفاق التحول الإيجابى فى الفكر الدينى... وإذا حلت التقاليد وحل فهم الإنسان

المحدود محل الموضوعات المقدسة والمتسامية، ففي هذه الحالة سيعد أى نوع من الاعتراض على هذا الفهم والعرف بدعة وخروجا على الدين، وعندها تُمسى محاربة المبتدع أمرا مقدسا وساميا..

● وتراث الأمة هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للحضارة والأمة ، وهو سبب تميز ثقافة الأمة عن ثقافات الأمم الأخرى . .

لكن هذا التراث يجب أن لا يكون عقبة أمام التغيير والتقدم والتجديد ، وإنما يجب أن يستند إليه ويرتكز عليه أى تغيير . . فلا يجب تحويل التراث إلى عقبة أمام التغيير . . ولا يصح أن يتم التغيير بمعزل عن التراث . . ذلك أنه «هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم، وخاصة الأمة التي لها حضارة متميزة وثقافة غنية. فالتراث تجل لثقافة المجتمع، ولا مجتمع من دون ثقافة... والقضاء على التراث يعني مصادرة أساس الهوية التاريخية والثقافية للأمة والقضاء عليها.

وإذا ما قُدر لأمة أن تتغير، فإنه ينبغي لها في البدء أن تستشعر وجودها وشخصيتها من خلال ارتكازها إلى هويتها التاريخية، لكي تتمكن من الانطلاق منها... ألم يستيقظ الغرب بفضل عودته إلى التراث، إذ عاد المفكرون إلى التراث اليوناني، الفكرى والفنى، وإلى تراث روما الاجتماعى، عصر النهضة، كما عاد المتدينون إلى ما كانوا يعتبرونه حقيقة دين المسيح الحقيقي، عصر الإصلاح، وكانت هذه العودة ذاتها مصدر إلهام لعصر البناء والإعمار.. فلا مفر من الاتكاء على التراث حتى في الصراع معه.. والنهج السليم هو أن تكون لنا مساهمة واعية حذرة في عملية التغيير والتحول، وفى إعادة صياغة التراث باعتباره موضوعا بشريا.. والحذر من اعتبار التراث أمرا مقدسا لا يحتمل التغيير..»

● أن الحداثة التي تتطلب قضاء الثقافة [illegible] حول جوهره
منذ أكثر من قرن من الزمان فرضت في سياقه خصوصية معرفية
حداثته ومعاصرته التي تموت عن ثقافتنا الإسلامية [illegible]
ثقافة أوروبا في العصور الوسطى الأوروبية [illegible] المصطلح [illegible]
إسلامية [illegible] المصطلح الحداثة.

فالحداثة تعد بداية التحولات التي جرت في الغرب في العصر الأخير من تاريخ الإنسان، والثاني يمكن القول أن العصر [illegible] الحداثة روح حضارة جديدة، وثقافة المصطلحات معنى، فلكل حضارة ثقافتها التي تستعمل معها، والاختلاف والتباين بين الثقافة الغربية التي تستعمل الحداثة، وبين الثقافة العربية المستخدمة مع الحضارة العربية، التي تستعمل الحداثة الآن، فهو اختلاف جوهري في جنس الحضارات.

لقد كانت ثقافة عالم الإسلام وثقافة الغرب القروسطية على محور [illegible] واحد [illegible] وكان هناك وجود شبه بينهما هو محورية الله في فكر الإنسان وعقائده وفي نظامه الفكري والأخلاقي والاجتماعي. وعندما خرج الغرب [على] ثقافته القروسطية هذه، وكان من ثمرة خروجه عليها قيام حضارته الحديثة وثقافته الحديثة، التي جعلت الإنسان بديلاً لمحورية الله، فكان لابد أن تحول من محورية الله إلى محورية الإنسان، برز وجود الاختلاف بين ثقافتنا [illegible] وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة.

● والتنمية ـ كما جاءت من الغرب.. وكما يطرحها ويتحاور فيها ويتحدث حولها [illegible]

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية العربية [illegible] هذه الشخصية التي [illegible]

الدكتور حلمي [illegible] هي نموذج عربي متميز، لأنها هي [illegible]

العربية التي شكلت حداثته المستحوذة على الإنسان [illegible]

النموذج هذه الشخصية هو خصوصية عربية، وليس النموذج

الغربي أو العالمي الذي يجب أن نسلكه [illegible]

[illegible]

الإنسان، هي روح العروبة الحضارية [illegible]

مع حداثته، هي [illegible] العربي [illegible]

الحضارات..

إن المجتمعات بحاجة إلى العقول، ولكن [illegible]

الشخصية [illegible] العربي [illegible] أكثر من منهج في العقول [illegible]

[illegible] المنهج الواحد [illegible] في عصر [illegible]

من [illegible]

[illegible] خارج [illegible] العربي [illegible] داخل العرب [illegible] في

عصر شكلت [illegible] في شمولية الحضارة العربية وقدرتها على

تحقيق الإنسانية المرجوة والواحدية البشرية إلى الأمام

وعلى هذا الأساس [illegible] عن الشخصية [illegible]

للثقافة العربية [illegible] الشخصية التي تخرج في هذا العصر هي الشخصية العربية

وهي تحتوي على مفهوم [illegible]

الشخصية مفهومها [illegible] فلا [illegible] الحضارة

الغربية تلك

[illegible] المشهود

ماذا علينا أن نفعل في عصر العولمة؟

لا نستطيع، بل لا ينبغي لنا أن نعود القهقرى ٤٠٠ سنة [illegible] إلى نقطة البداية التي انطلق منها الغرب حتى وصل إلى حيث هو. وبما علينا، إذا ما كنا أهل تدبر وعقل، أن نشق طريقنا إلى المستقبل، بملاحظة التجربة الغربية، فنأخذ الغاية بمزاياها ونواقصها، كي نتوفر على اختيار الأفضل ونوعه، ذلك أن الشرط في سعينا الأساسي هو تجاوز الحضارة الغربية.

● أما الحرية التي نتحدث عنها [illegible] الكافة ويختلف حولها الأكثرون فإنها تعني [illegible] حتمي. حرية مستوحاة من ثوابت الأمة [illegible] حرية [illegible] بهذه الثوابت [illegible] وهي [illegible] مشروعة حرة [illegible] وفق الأمة التي لا [illegible] المستوحاة التي تؤلف [illegible] على الثوابت [illegible] بها ليست مجرد كلمة [illegible]

[illegible] بالحرية [illegible] هو حرية الفكر، [illegible] الأمن في بدايته، [illegible] الحرية [illegible] هذا الأمن [illegible] والتقدم [illegible] الفكر، والفكر لا ينمو إلا في إطار الحرية وعلى أرضيتها.

إن [illegible] الحرية [illegible] الحرية [illegible] على [illegible] ومصلحته [illegible] في [illegible] ولا [illegible] فلا [illegible] [illegible] من قبل الآخرين

أن تسير الشعوب وعلى قياداتها أن تكون تحت تصرف المجتمع وأن يظل المفكرون والمسؤولون الذين يستمدون الخبر في إدارة الأمور شيئه، أن ميثاق يتوافقون فيه على الآتي:

أولاً: علينا أن نكف عن البحث في العالم المعاصر عن مثال واحد للحرية يتحول إلى نموذج نهتدي به نتيجة للتعصب على الأمم جميعها

ومع أن جوهر الحرية واحد لكن من الأكثر للأمم والشعوب التي تستطيع أن تجرب وحوها مختلفة للحرية تحقق للشعوب والأوضاع التاريخية والاجتماعية حتى يكون لها تجارب مختلفة في طرق الحرية وتحديد أولويات مراحلها

ثانياً: علينا أن نسعى لخلق جو نستطيع فيه أن نتحمل الخطاب بسهولة، كما علينا أن نجتهد كي نصل إلى تعريف للحرية يرضي الجميع وأن نتوافق على حد أدنى وعلى الأولويات شرط أن يكون ذلك قوميا ....

● وقد كان الدكتور حنفي قد قدم بحثه عن رؤيته الإسلامية، وهو يرى الإسلام على حاجة العصر، لا متعاليًا على العصر وقد كان هذا العصر. ثم قال إنه قد ينقل الإسلام ... المفكر الإسلامي المعاصر ... من ... الغربية، ويستخلص ... ويقف على ... من الفكر الغربي، ويتخذه ... لكنه يقطع أخرى من أبعاد الفكر الغربي ... هو حال الغرب ... ولكن ... الاستعمار الأغلب ... الإسلامي و ...

[illegible] . كان لابد للدكتور حنفي من أن يعرض موقفه من الغرب، ورؤيته [illegible]

[illegible] يؤكد على أن الغرب ظاهرة مركبة، يجب أن نتعرف عليها، لا نقبلها كلها، وأيضا لا نرفضها كلها، وإنما [illegible] سلبياتها، ولنستفيد منها في إيجابياتها [illegible] فمن النادر أن نجد شعبا [illegible] غير غربي لم يتعرض لهذه الظاهرة [illegible] الغرب السياسي والاقتصادي، سواء في صورته الاستعمارية القديمة التي نهبت [illegible] الآخرين المادية والمعنوية ودمرت البيئة [illegible] الإعلام [illegible] الكثير من [illegible] الإنسانية و [illegible] المعنوية و الأخلاقية [illegible] لدى [illegible] المعاصرة التي تركته [illegible]

بيد أن الغرب السياسي والاقتصادي ليس إلا وجها من وجوه الغرب، فالغرب بأجمعه هو حضارة ذات ثقافة خاصة وهذه الحضارة وهذه الثقافة قامت على مبادئ فكرية وقيمية خاصة ومن دون التعرف عليها والإحاطة بها [illegible] معرفة بالغرب معرفة سطحية وظاهرية ومضللة

ويسعى [illegible] أخطار الغرب من جهة والاستفادة من خبراته ومكتسباته الإنسانية من جهة أخرى وكل هذا ممكن [illegible] الفكرية وتاريخنا [illegible] القدرة على التشخيص والانتقاء [illegible] والاختيار ..

● وبعد، اهتم الدكتور حنفي بالحديث عن المواقف الفكرية - التي تبلورت في حياتنا الفكرية إزاء الغرب ..

فأمام الحضارة الغربية ، وثقافتها الحداثية الوافدة إلى بلادنا ، فى ركاب الغزوة الاستعمارية ، تبلورت فى بلادنا الإسلامية تيارات فكرية ثلاث :

١ ـ التقليديون ـ المتشبثون بالتراث : ـ وهم الذين أصروا دائما على التمسك بالتراث بكل أبعاده ووجوهه، أو لنقل، بتعبير آخر، أصروا على تقليدهم وتصورهم الذهنى وسلوكهم الذى اعتادوه، وكان بالنسبة لهم أمرا مقدسا فى مقابل التجديد أو الحداثة، واعتقدوا أن بالإمكان العيش فى إطار التقليد الضيق الموروث عمن سلفهم بإيصاد الأبواب فى وجه أمواج الحضارة الغربية وثقافتها المندفعة...

٢ ـ والمتغربون ـ المقلدون للنموذج الغربى ـ وهم الذين خيل إليهم أن الأزمة قابلة للحل من خلال قبول الحضارة الغربية بجميع أبعادها ومتطلباتها ومستلزماتها، بما فى ذلك ثقافة الحداثة.. وهؤلاء ـ بتحقيرهم للتراث واستهزائهم به، بدلا من تحليله ونقده ـ تجاهلوا نفوذه الراسخ، ولم يتمكنوا، فى أى وقت، من الحصول على مواطن قدم فى مجتمع يحيى التراث ويأنس به.. فمكثوا فى عزلة موجعة، ولذلك تعلقوا ـ بدافع المحافظة على بقائهم ـ بأذيال الحكومات المستبدة، أو أمسوا، عمليا وعن وعى فى الكثير من المواقف، منفذين لتطلعات الغرب الاستعمارية فى بلدانهم...

٣ ـ والإصلاحيون: الذين يتعاملون مع التراث ومع الغرب الحضارى بمنهاج نقدى . . جعلهم يجمعون ، بالتجديد ـ المستصحب للثوابت ، والمجدد فى المتغيرات ـ كلا من ميزات التقليديين وميزات الحداثيين ، دون سلبياتهما . . فهذا التيار الإصلاحى ينطلق من مبدأين :

«الأول هو «العودة إلى الذات» وإحياء الهوية الثقافية، التاريخية لأمتهم وشعبهم».

أما الثاني: فيقول بـ«التعامل الإيجابي مع معطيات التمدن البشري، وفي الوقت ذاته اتخاذ الحيطة والحذر في مقابل نزعة الغرب التوسعية وتوجهه الاستعماري».

ولقد حدد الدكتور خاتمي للإصلاح - الذي يعد نفسه واحدا من تياره - شروطا . . فالإصلاح عنده ليس مجرد فكر . . وإنما هو فكر تضعه «السياسة» في الممارسة والتطبيق . . «فالإصلاح لا يتحقق إلا إذا تبعت السياسة والنشاط السياسي الفكر والحكمة، ولم يُبقيا نطاقا مفروضا على الأفكار»..

والفكر، الذي هو شرط الإصلاح، لابد أن يكون فكرا مبدعا وإبداعيا، لا مجرد تكرار للإبداعات التي تجاوزها الواقع ونسخها التطور، وطوى العصر الجديد صفحتها . . بل إن الإبداع - عند خاتمي - هو شرط صمود الهوية في المواجهات الحادة أمام التحديات الشرسة التي تواجهها حضارتنا وثقافتنا . . فالإبداع هو سبيل بلورة البدائل الإسلامية، التي تملأ بها فضاءنا الثقافي، حماية له من أن يملأه «الوافد» الضارا . . «فالمجتمع الذي يفتقر إلى الفكر المبدع يفقد هويته في أول مواجهة مع أية مشكلة»..!

❖ ❖ ❖

● وأخيرا . . . ينطلق الدكتور محمد خاتمي من هذه المعالم الفكرية، التي قدمها حول (الدين . . والتراث . . والحداثة . . والتنمية . . والحرية) إلى نظرة مستقبلية، تبشر بحضارة إسلامية

جديدة ، أو ـ بمعنى أدق ـ مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . . فيقول :

«علينا، في سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل، ولكي نتمكن من تصور مستقبلنا تصورا سليما ومقبولا، فلن يكون أمامنا خيار سوى أن نعي ماضينا ولا نألفه ونأنس به.. وأن نتسلح بنقد الحداثة والتراث معا، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة في حياة الإنسان، في وقت نرتكز فيه إلى ماضينا الذي أنتج حضارتنا، وأن نستفيد، ونحن نتجاوز الغرب، من معطيات الحضارة الحديثة الباهرة، لا سيما وأننا نمتلك في التاريخ سابقة حضارية تركت بصماتها على مصير العالم والإنسان...».

فنحن «نتجاوز الغرب» ، دون أن تنغلق دونه فنرفضه جميعه . . و«نرتكز إلى ماضينا» ، دون أن نهاجر إليه . . وإنما لنقفز إلى مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . .

❖ ❖ ❖

تلك إشارات إلى أهم القضايا المحورية التي تناولتها الدراسات الثلاث التي كتبها الدكتور محمد خاتمي ، والتي نقدمها إلى القراء . . أما الآفاق . . والتفاصيل . . ولبنات هذه الرؤية ـ الإسلامية ، الموضوعية والمشرقة ، فإننا نترك القراء وإياها في صفحات هذا الكتاب .

والله نسأل أن ينفع به . . إنه أفضل مسئول ، وأكرم مجيب .

دكتور / محمد عمارة

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

● د . محمد عمارة	● المستشار طارق البشري
● د . حسن الشافعي	● د . محمد سليم العوا
● أ . فهمي هويدى	● د . جمال الدين عطية
● د . سيد دسوقي	● د . كمال الدين إمام
● د . عبد الوهاب المسيري	● د . شريف عبد العظيم
● د . عادل حسين	● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

